التناص الأدبي في الصورة الموحية

الباحثة
فاطمة عبد الجليل عباس
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف
fatemaabdaljalij308@gmail.com
الأستاذ الدكتور
عباس علي الفحام
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

The allegorical image in the book of lamentation of values

Researcher
Fatema abd aijali abbas
General Directorate of Education in Najaf Governorate
Prof. Dr.
Abbas Ali Al - Faham
Kufa University - College of Education for Girls

الملخص:-

التاريخ سجل لما يحدث في الأمة على مرّ العصور، فهو يسجل كلّ ما يحدث فيها، ويوثقه للناس جيل بعد جيل، من هنا فالتناص الأدبي الذي حصل في صور الشعراء وثيقة مهمة للكشف عن الصور الإيحائية، وإظهارها بشكلٍ يكشف عن ماهيتها وأهميتها، ومدى انجذاب المتلقي إليها وإلى معلنيها المبطّنة؛ لذا فالتناص في كتاب رثاء القيم وقع على أنواع عدّة، تم توضيحها في البحث.

الكلمات المفتاحية: (التناص مع الشعر القديم، الشعر المعاصر، التناص مع الأمثال، السيد الخوئي، الإيحاء، التصوير).

Abstract:-

History is a record of what happens in the nation over the ages, it records everything that happens, and it documents to people for all generation. Thus, the intertextuality that poets use is an important literary sort to uncover the implicit poetic image and show it in a proper way that attract the audience. The intertextuality in Retha'a Alqaim book happened in many ways that will be revealed later on in this paper.

Keywords: (intertextuality with ancient poetry, contemporary poetry, intertextuality with proverbs, Sayyid al-Khoei, suggestion, imagery).

المقدمة:ـ

التناص يعد آلية للكشف عن تداخل النصوص فيما بينها مع النص الأصلي، وهذا التداخل لا يأتي عبثًا؛ إنّما عن وعي كامل من الشاعر تُعضّده ثقافة واسعة، هي من مكنته من تضمين صور ومعاني الآخرين إلى بيته أو قصيدته الشعرية، وهو بذلك يعمل على بناء علاقات تناصية مع نصه المقصود ويخرجه للعيان بشكلٍ موحٍ رصين؛ لتضمينه ثقافات بعيدة مع أخرى حديثة من الواقع المعيش، ولقد اشتمل البحث على مقدمة اتضحت فيها أهمية البحث، ثم التعريف بالمفردات الواردة فيه من أنواع التناص الأدبي في كتاب رثاء القيم للسيد الخوئي ﷺ، وأخيرا تأتي الخاتمة بأهم ما توصل إليه البحث.

كتاب رثاء القيم:

كتابٌ علميّ ضمّ مجموعة من القصائد الشعرية، التي قيلت في رثاء السيد أبي القاسم الخوئي ﷺ، فتاريخ المرجعية الدينية في النجف الأشرف زخر بقصائد رائعة في تأبين ورثاء علماء الدين الكبار[١]، وفقهاء الإسلام، والسيد الخوئي ﷺ هو عَلَمٌ شامخ بعلمه ومعرفته الحوزوية، ونجم زاهر في سماء الحركة العلمية؛ لذا جاء هذا التراث الضخم بما احتواه من قصائد في رثاء هذا المرجع العملاق، ومنجزاته العلمية ومعاناته من قبل النظام البائد، تجسيداً علمياً، عبر فيه الشعراء عن صدق إحساسهم وحبّهم الكبير للسيد الخوئي ﷺ، دفعهم إلى هذه الصور الموحية المبتكرة، فضلاً عن ذلك فإنّ هناك قصائد عظيمة لشعراء أخفوا اسمائهم تحت اسماءٍ مستعارة، خوفاً من الحكومة الصدامية، ومن الجدير بالذكر أنّ هذه القصائد متفاوتة في قوتها وقدرتها الفنية؛ لتفاوت الشعراء في الامكانات والقدرات التصويرية على التعبير الفني، ورسم المشاهد المؤثرة رسماً بليغاً في نفس المتلقي، وقد بلغ عددها (٩٩) قصيدة، طُبعت في مؤسسة السيد الخوئي الخيرية[٢].

التناص الأدبي:

لما كان التناص الأدبي آلية؛ لتداخل النصوص الأدبية القديمة: شعرية أو نثرية مع النص الأصلي؛ فهي لا بد فيها أن تكون متسقة ومنسجمة وتدلّ على الأفكار التي يُعلنها المؤلف أو يقدمها إلى المتلقي، وكذلك تمثل الحالة التي يتحدث عنها[٣]، فالنصوص الأدبية عند تحليلها، ومعرفة وسائل تشكيلها، لا بد فيها من ظهور سمات فنية متميزة تكون نتيجة

طبيعية لما وراء النص من مؤثرات ثقافية تكون دالة العصر؛ لأنّ لكلّ فنٍ وعصره وشائج ومعالم تتطبع على ألفاظه ولغته، ومستوياته الفنية المختلفة، فهي تؤثر في صيرورة العمل الأدبي(٤)، وهذه الظواهر ((خلفية هامة ثرية بالتجارب والخبرات، والقيم، والدلالات، ولا يعقل تطور أي فن من الفنون دُون أن تكون وراءه خلفيات الموروث ودلالاته))(٥).

كما أنّ للأديب أثرًا كبيرًا في تطور الموروث، وجعله يصبّ في قالبٍ معاصر، وذلك عن طريق تعامله مع النصوص وعدم تسلمه لها كما هي كالتركة الثقيلة الموروثة، بل لا بد أن يكون واعيًا لاختياراته وأن يأخذ بالجوانب المضيئة من هذا الموروث(٦).

وكان للتناص الشعري نصيب لا بأس به من نصوص الشعراء؛ إذ لا ريب في أنّ تضمينهم لهذه الأشعار، واستثمارها لتصويراتهم الموحية ينمُّ عن دراية وافية وحسن اطّلاع(٧) للثقافات السابقة، لكنّها لا تخرج عن ثقافة إسلامية دينية، وجد البحث في قصائد الكتاب نوعين من التناص هما:

أولًا: التناص مع الشعر القديم

ويعتمد فيه الأديب على نصوصٍ شعرية قديمة مستمدة من التراث العربي، فيبني معها علاقات تناصية ويقوم بتضمينها نصه الشعري، فيُخرجها بصورة إيحائية تُعبّر عن ثقافته، وقدرته الإبداعية على جمع ثقافات بعيدة مع أخرى حديثة معاصرة، ومن الصور الإيحائية المُبيّنة لها في كتاب رثاء القيم، ما أجاد به الشعراء، ومن تلك الصور ما قاله السيد محمد بحر(٨) العلوم واصفاً مدينة النجف الأشرف بأنّها موطن لأهل البيت عليهم السلام:

[الطويل]

وما النجف الأعلى سوى موطن الألى	تسامى شموخًا من (علي) معاليا
وأرسى به (الطوسيُّ)(٩) للعلم معهدًا	ليُطفي غليلًا للمعارف ضامِيا
وصار له(الخوئي) رائد عهدهِ	فأضحى لدنيا العلم مجدًا وواقيا
ففجّره للفقه والفضل موردًا	مشت نحوه الأفكار تطوى الفيافيا
ولم يكُ غير الجهبذ الفذُّ مقتصدًا	(ومن قصدَ البحرَ استقلّ السَّواقيا)(١٠)

ذكر الشاعر مدينة النجف؛ لأنّها موطن للعلم والعلماء فضلًا عن كونها مستقرًا للمرجعية الدينية، وجاءت قداستها لتشرّفها بمرقد سيد الأوصياء عليه السلام الذي كان مدينة للعلم والمعرفة والبلاغة والفصاحة وسواها، كما أرسى بها شيخ الطائفة الطوسي قدس سره مرجعيته الشهيرة التي ذاع صيتها أسهمت في نشر العلوم الدينية المختلفة، ورفعت من شأن العلم وطلابه، وجاء بعده السيد الخوئي قدس سره؛ ليكمّل ما بناه غيره من العلماء الأفاضل، كما ويُلحظ أنّ الشاعر ضمنه صورته شطر بيتٍ من قصيدة للمتنبي، مدح فيها كافور الأخشيدي

[الطويل]

قواصد كافورٍ توارك غيرهِ ومن قصد البحر استقلّ السواقيا[١١]

ومعنى ذلك أنّ ممدوحهُ بحرٌ وغيره من الملوك سواقي، فهم أنهار صغيرة؛ لذا كان مقصد السيد بحر العلوم من ذلك أنّ السيد قدس سره هو بحرٌ معطاء يمدُّ الأنهار(العلماء) بماءٍ سائغ للشاربين، كما قال الشاعر مطر الشلاه[١٢]، مصوراً عزم وثبات السيد قدس سره:

[الطويل]

فكنتَ، وليلُ الحادثات مُلبّدٌ بغيم الرزايا تمتطي أفقك الرَّحبا
وكنا إذا جاشت عِدانا بحقدها وماجت أقمنا نرتجي عندك الحدبا
فتغمرُنا ودًّا، وتغمرُنا هوى وتغمرنا طيبًا وتغمرنا حُبّا
وتغمرنا شوقًا رفيقًا، كأنّه وقد فاح، أضحى بين أضلُعنا قلبا
فمنْ سوف يهدينا، ومَنْ يحتفي بنا وقد كنتَ فينا السّيد السّند القُطبا
إلى الله نشكو ما نلاقي، وحسبنا فليس وراء الله من عاصمٍ ربّا
سنمضي (وما بالموت عارٌ) وإننا سنمضي على اسم الله في دربه وثبا[١٣]

أظهرت هذه الصور المعبّرة عن شخصية قائلها وحالته النفسية التي طفحت بها ألفاظه ومعانيه عندما مدح المرجع الديني(رحمه الله)، وجاء بالصورة الكنائية (غيم الرزايا)؛ لتدلّ على كثرة المحن والمصائب التي كانت تحيط به وتُعكّر صفو سمائه، فكان الأب الرؤوف والملاذ الآمن لكل من يلتجأ إليه، وقد جاء التكرار البلاغي؛ لإضفاء جرس موسيقي جميل على الألفاظ، فهو وسيلة فنية لجأ إليها الشاعر؛ ((ليضفي على شعره إيقاعاً داخلياً جميلاً

معبراً عن ذات الشاعر بمختلف تجاربه))[١٤]، كما استعمل المبدع التضمين الشعري من أبيات لشعراء مشهورين، ففي بيته الذي قال فيه:

إلى الله نشكو ما نلاقي، وحسبنا ... فليس وراء الله من عاصمٍ ربّا

أخذه من قول كُثير عزّة: **[الطويل]**

إلى الله أشكو لا لا إلى الناس حبّها ... ولا بدّ من شكوى حبيبٍ مودّع[١٥]

كما جاء في البيت الأخير:

سنمضي (وما بالموت عارٌ) وإننا ... سنمضي على اسم الله في دربه وثبا

تضمين من بيت نُسب للإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى كربلاء فقال له الحر وهو يسايره ((إنّي أُذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئنْ قاتلت لتُقتلنَّ، فقال له الحسين ع أفبالموت تخوّفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله ص فخوّفه ابنُ عمّه وقال أين تذهب فأنّك مقتول، فقال))[١٦]:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما[١٧]

ويبدو ممّا مرّ أنّ الإيحاء الذي أراد الشاعر إيصاله للمخاطب هو المضي والإقدام في طريق الحق وإن كانت هناك أشواك تُعيق السير فيه، فالسيد دام ظله تغلّب عليها وواصل المسير نحو العُلا، كما وظف الشاعر مطر الشلاه صورةً أخرى وصف بها حال الحوزة العلمية بعد مغيب السيد(قده): **[الطويل]**

((مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومعهد علمٍ)) يشتكي الجور والوصبا[١٨]

فيا أدمع الباكين حسبُك أن نرى ... أراذلنا فينا تسود وأن نُسبى[١٩]

بثّ المتكلم أشجانه وحزنه عندما ندب المدارس التي خلت من أهلها، من الذين كانوا يُحيونها بتلاوة القرآن وتعليمه، وكان ذلك تضمينًا لقول الشاعر دعبل الخزاعي: **[الطويل]**

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍ مُقفر العرصات[٢٠]

فالشاعر هنا استعمل الاستشهاد الأدبي في شعره؛ لكونه ((دلالة نصية على التواصل

التاريخي والأدبي، بين الأدباء والأجناس الأدبية، وبين الأجيال الثقافية. بما يمثل هوية حضارية ترتحل زمنياً حاملة معها كلّ المؤثرات ومرجعيات الكاتب الثقافية، وطبيعة تجربته الإبداعية المنجزة))[٢١]، فالتضمين هوية ثقافية يرحل معها المبدع إلى ثقافات سابقة لعصره، وينهل منها ما يلائم صورته الفنية ومعانيه الإيحائية التي أشار بها إلى خلو دور العلم من أهلها وأعمدتها الدينية، كما جاءت الاستعارة التشخيصية بلفظة (معهد علم يشتكي الجور والوصبا)، أي تفشي الجور والمرض، والأوجاع التي دلت عليه لفظة الوصب.

وفي صورة للسيد محمد بحر العلوم من قصيدته (لوعة المصاب) أظهر فيها حزنه الكبير على وطنه، قائلًا: **[الطويل]**

أبى اللـؤم الّـا أن يـدنس مـوطني ... ويقـتصّ مـن صـرح الكرامـة غاليـا

يصـولُ عليـه مِـلء حِضـنيه ذلّـةً ... وعـارٌ تجلـى في الهـزائم باديـا[٢٢]

تكشفت الدلالة التصويرية للأفكار التي عرضها المتكلم عن شيوع وازدياد اللؤم في البلد العراقي، وكثرة المعاناة والتضييق على الناس، ومنعهم من تأدية شعائرهم الدينية وبالوقت ذاته مارست الحكومة سياسات ظالمة، فكان التناص في بيته الأول مع شاعر جاهلي ضُرب به المثل بالوفاء هو السموأل بن عادياء[٢٣] في قصيدته اللامية الشهيرة: **[الطويل]**

إذا المـرء لم يـدنس مـن اللـؤم عِرضُـهُ ... فكـلُّ رداءٍ يـرتديه جمـيلُ[٢٤]

فالشاعر عرّج إلى هذه التضمينات الشعرية القديمة؛ لمكانة أصحابها الشعرية ولا سيما المتنبي الذي شغل النّقاد والباحثين زمنًا طويلًا، يستقصون أبياته ويحللونها، ويستنبطون معانيها الموحية، كما صوّر الشاعر مطر الشلاه يأسه من الحياة عندما قال: **[الطويل]**

فيـا مـوت زُر إنّ الحيـاةَ ذميمـةٌ ... وأهلُ الحِجى أضحى ثُراثهم سَلْبا[٢٥]

استعمل الشاعر التناص الأدبي؛ لتجسيده للحالة النفسية التي يعيشها، فتدخل النّصوص على اختلاف أزمنتها وعصورها؛ لتُخرج صورة ممتزجة بثقافات متفاوتة ومتباعدة تتكامل معًا وتتبلور في هيئة جديدة مُوحية تأخذ بالمتلقي إلى أفق جديد، فالشاعر تناصّ مع

قولٍ لأبي العلاء المعري في قصيدته (ألا في سبيل المجد):

[الطويل]

فيـــا مـــوت زُرْ إنّ الحيـــاةُ ذميمـــةٌ ويـا نفـس جـدّي إنّ دهـرك هـازل[٢٦]

تكشفت الصورة عن يأس الشاعرين من الحياة، وبؤسها حتى كان الموت أحبّ إليهم منها؛ نظرًا لما يحدث فيها من مصاعبٍ، ويُلحظ أنّ مطر الشلاه في صورته حزن عميق وألم؛ لما أصبح عليه التراث الديني الممثل بالحوزة العلمية بعد مغيب شمسها وانطفاء نورها.

كما عبّر الشاعر محمد فرحات[٢٧] عن عظمة السيد الخوئي(قده) قائلًا:

[الخفيف]

يحيـا العظـيم علـى الأيـام في عظـمٍ أمّـا اللئـيم فيقضـي العمـر في صـغرِ[٢٨]

أشار المتكلم إلى شخصيتين في صورته أولهما: الشخص العظيم الذي يعيش بعظمة وعزة نفس، فكانت الحكمة بالغة في هذه الصورة وعزيمة صادقة على شحذ الهمم والوقوف بوجه المعضلات، وفي ذلك إشارة وتلميح إلى السيد ﷺ، فهو العظيم الذي غمر الناس بأخلاقه وسموّها، وثانيهما الطرف (اللئيم) الذي تملأ عينه صغار الأمور وهو يتصورها عظيمة كبيرة؛ لأنّه صغير فيراها من منظاره الخاص، ففي هذا البيت تضمينًا بالمعنى والأفكار مع قول المتنبي: **[الطويل]**

وتعظـم في عـين الصـغير صـغارُها وتصـغُرُ في عـين العظـيم العظـائمُ[٢٩]

ثانيًا: التناص مع الشعر المعاصر

يمثل ما يحدث بين نصوص عصرٍ واحد أو جيلٍ واحد، أو يمثل كلّ ما يقع في مرحلة زمنية متقاربة، فيعمد الشاعر إلى الأخذ منها وتوظيف ثقافتها في شعره، ومن أسباب وقوعه: تقارب الحياة الاجتماعية أو الأدبية أو الثقافية لدى المبدعين، ومن ينابيعه عند الشعراء قول الشاعر اللبناني محمد فرحات الذي وجدت عنده ظاهرة التناص الأدبي:

[البسيط]

فإنّمـا الشـعب إن كـانت إرادتـه قويـةً نـال مـا يبغيـه مـن وطـرِ

وثـورةُ الشـعب في أرض العـراق غـدت وشـيكة النصـر يـا خـوئي لا تحِـرِ
فمـن جـهادك قـد قامـت مجـاهدةٌ ومن هدى الفقه كـانت وجهة النظـرِ[٣٠]

إرادة الشعب هي مفتاح لهذه الصور الشعرية، فكلّما كان الشعب قويَّ الإرادة كان ذلك حافزًا ودافعًا للعيش الحر الكريم الذي يجعله يقف بوجه كلّ معتدٍ طامع، وكان التناص الشعري الذي انتهل منه المبدع صورته، وما فيها من شحنات عاطفية عامة عبّرت عن مشاعر شعبٍ كامل، وقد أخذ النص معناه من قول أبي القاسم الشابي في قصيدته (إرادة الحياة) بقوله:

إذا الشـعب يومًـا أراد الحيـاةَ فـلا بـد أن يسـتجيب القـدر[٣١]

فكانت دلالة الأبيات قائمة على الإرادة والعزيمة الصادقة فضلًا عن هيمنة المنحى النفسي وهذا ما شكلّ قناعة تامة لدى الشاعر؛ لأنّ التلوين الشعوري بدا واضحًا بيّنًا؛ وذلك لأنّ دلالة الكلمات الشعرية والعبارات يُقصد بها بثّ صور إيحائية، وعن طريقها ((يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيه التصويرية الفطرية في اللغة))[٣٢]، فكان إحساس الشاعر هو ترجمة لما يُعانيه ويحسه الشعب العراقي، ورغبته بالقيام بثورة على حكّامه المستبدين، فالشاعر لوّح بهذه المعاني والأفكار الموحية عن قيام السيد ﷺ بتشجيع الثوار ومناصرتهم في قضيتهم الجماهيرية، فالتناص هنا نم عن تقارب ثقافي لما عانته الشعوب المضطهدة سواء أكان ذلك من رؤساء البلد أم من الغزاة المحتلين، كما رسم السيد محمد بحر العلوم صورة من قصيدته (لوعة المصاب) قائلًا:

[الطويل]

رحلـت أبـا الأشـبال والليـل مظلـمٌ وقد أخـرس الخطـب الممـضّ لسـانيا[٣٣]

كانت ألفاظ الشاعر وصورهِ بقالبٍ متماسك أوحى بأهمية المرثي في تكوين ونسج صورته التي أنبأت عن وقت رحيله المؤلم بلفظة (الليل المظلم)، فكان الإحساس بالحزن لفقده ومواراته من دون تشييعٍ زاد حدّة الألم أضعافًا مضاعفة، وكانت هذه الصورة متناصة مع قصيدة للشيخ عبد الحسين الحلي[٣٤] بقوله:

أعـرني لسـانًا أو فـدعني ومـا بيـا فقد أخـرس الخطـب الممـضّ لسـانيا[٣٥]

التي قالها في رثاء الشيخ العلامة النائيني ﷺ، فكان التضمين الشعري لهذه الصورة المعاصرة((بسبب حتمية المقروء الثقافي في ذاكرة الشاعر ثم تسرّبه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصورة أو الأسلوب أو الرؤية إلى غير ذلك))[٣٦]، فكانت ينابيع الثقافة والتجربة عند المبدع هي من أسهمت في انتاج هذه الصور التي أوحت بتشبيه فاجعة موت السيد الخوئي ﷺ بموت الشيخ النائيني(طاب ثراه)، فكلاهما شيّد صرحًا علميًا شاهقًا لازال نابضًا بالعلم والمعرفة.

ثالثًا: التناص مع الأمثال

اهتم العرب بالأمثال اهتمامًا كبيرًا وأولوه عناية قلّ نظيرها، وقاموا بإقحامه في ميادينهم الحياتية المختلفة؛ إذ إنّ لكلّ ضرب من ضروب حياتهم، ولكلّ حادثة مثلٌ يجسدها، فضلًا عن عناية اللّغويين به؛ لأنّه كان منبعًا للّغة الصافية إلى حدٍ كبير.

فالمثل في اللّغة هو((الشيء الذي يُضرب لشيء مثلا فيجعل مثله))[٣٧]، كما ورد في العديد من الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٨]، فدلت لفظة المثل على صفة النبي محمد ﷺ هو وأصحابه في التوراة والإنجيل.

أمّا في الاصطلاح: فالمثل هو حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وتجتمع فيه ثلاثة أمور وهي: إصابة المعنى، وإيجاز اللفظ، وحسن التشبيه[٣٩]، كما جاء المثل عند المرزوقي بقوله: ((اعلم أن المثل جملة من القول مقتضبة من وُصِلها أو مرسلة بذاتها تتسم بالقبول أو تشتهر بالتداول، فتنتقل عمّا وردت فيه إلى كُلِّ ما يصحُّ قصدَهُ من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعمّا يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، ولذلك تُضرَبُ وإن جهُلت أسبابها التي خرجت عليها، واستُجيز من الحذف ومُضارع ضرورات الشعر فيها ما لا تُستجازُ في سائر الكلام))[٤٠]، فالأمثال مرآة الشعوب، وهي تمثل عصارة لعاداتها وتقاليدها على مرّ السنين والأيام فضلًا عن كونها تعكس الملامح الفكرية، والنفسية، والذوقية للبيئة العربية في ذلك

الزمان؛ فهي خلاصة تجارب الأمم، وظف الشعراء الأمثال بنوعيها الفصحى والشعبية، كما وظفوا الخطب الدينية، ومن توظيفاتهم ما جاد به الشاعر محمد فرحات:

[البسيط]

صـــدام ويلـــك إن الجمـــر مشـــتعل ... تحـت الرمـاد فحـاذر قدحـة الشـررِ

يـا وغـد قـد بلـغ السـيل الـزبى فكفـى ... غيًـا لقـد جـاء حكـم الشـعب فـانتظرِ

عمّـا قريـب تـرى الثـوار قـد وثبـوا ... فاحشد حواليك من تختـار مـن زمـرِ[٤١]

ابتدأ الشاعر كلامه بتهديدٍ عنيفٍ، وشدّة لاذعة موجهة إلى الطاغية المقبور، وفيها لمّح عن ثورة كبيرة يقودها الصغير قبل الكبير؛ فصمت الشعب لا يعني خضوعه واستسلامه لهم بل وراء الهدوء عاصفة عنيفة، فكان الجمر مشتعل يتنظر الوقت المناسب لحرقهم وقتلهم، هنا تشبيه بلاغي؛ إذ شبه صمت الشعب وهدوءه بالجمر الذي يكون تحت الرماد غير واضح للعيان لكنه مشتعل، فالشعب مستعد للنهوض بوجه كل معتد ظالم في الوقت المناسب.

وجاء استعمال المثل(بلغ السيل الزبى)؛ ليدلّ على ((أنّ الأمر قد بلغ غايته والهول أدرك نهايته))[٤٢]، والزّبية هي: الرابية التي لا يعلوها الماء[٤٣]، فهذا المثل تم توظيفه لدلالته على نفاذ الصبر مع وعيد بحكم شعبيّ عام يُنهي الشرّ الواقع بهم، وكان للمثل هنا أثر كبير؛ لأنّه معلم تاريخي لثقافة زمنٍ مضى، فهو يجمع((بين مزيتين فاعلتين: فهي من جهة أولى تعبير مكثف عن حادثة متفردة أو حالة جزئية، وهي من جهة ثانية تحويل للعبارة الواقعية إلى رمز وتحويل للحادثة وللحالة من واقعها المنفرد والجزئي إلى دائرة العام والكلي))[٤٤]، فالمثل ذخيرة الأمم وتراثها الإنساني، وفعلا نهضت الثورة بتوجيهات المرجعية الدينية للسيد قدس سره، وقاداتها الحوزويين.

ومن الصور الأخرى في قصيدة للشيخ جعفر الهلالي[٤٥]: **[البسيط]**

قـد كـان للأمـة الثكلـى بـه أمـل ... بـأن يـدوم لهـا عيـش بـه رغـدُ

لكنّمـا الحادثـات الهـوج خابطـة ... كخبط عشواء تستشري[٤٦] وتـزدردُ[٤٧]

انكشفت هذه الأبيات عن الإحساس النقي والحالة الشعورية التي هيمنت على معانيه وألفاظه، فكُسيت دلالة إيحائية انجلت عن شخصية المنشئ ولوعته، وحسرته على مصابٍ

جلل، وخطب عظيم حلّ بالأمة، أصحب ذلك تذمر من الدهر وغدره مع توظيف للمثل الشعبي (يخبط خبط عشواء)، فالعشواء الناقة التي لا ترى ولا تبصر في الليل، فتضع قدمها في أي مكان من دون وعي ومعرفة(٤٨)، فالمثل هنا قرّب إلى المتلقي؛ لأهميته البليغة في الجمع بين حالتين متشابهتين ذُكر لأجلهما؛ فهو عقل ضاربه وثقافة للبيئة التي بزغ فيها(٤٩)، وهو أيضا رصيد حضاريّ هائل؛ لارتباطه بثقافة الأمم وجوانب حياتهم المختلفة(٥٠)، دلت هذه الصورة على انعدام الأمل الذي كان موجوداً بوجود السيد ﷺ، والحياة الإسلامية المستقيمة إلى أنّها لم تستمر ولم تستقر على حالها؛ فأن للحادثات وللدهر كلمته القاسية.

الخاتمة:ـ

استعمل الشعراء التناص الأدبي بأنواعه المختلفة وسيلة للكشف عمّا وراء الألفاظ من معانٍ موحية ومعبّرة عن أحاسيس أصحابها، فأظهروا عن طريق التناص خبراتهم بالموروث العربي الأصيل، فضلًا عن ثقافاتهم ومقدراتهم الشعرية التي مكنتهم من رسم صورهم بشكلٍ موحٍ؛ لذا جاءت صورهم ممتلئة بالتلميحات الإشارية التي عبّرت عن معانيهم الإيحائية.

هوامش البحث

(١) ومنهم السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ كاظم الخرساني، والشيخ محمد تقي الشيرازي، وغيرهم، ظ: كتاب رثاء القيم: ١٤.

(٢) ظ: كتاب رثاء القيم: ١٤-١٥.

(٣) ظ: التناص نظرياً وتطبيقاً، د. أحمد الزعبي: ٥٠.

(٤) ظ: ظاهرة التضمين والاستشهاد الأدبي في تشكيل مقالة الرافعي(وحي القلم) أنموذجا د. عبد الله حبيب كاظم، م. سامر وجيه فاضل: ٤٤.

(٥) تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان: ٥٩.

(٦) ظ: المصدر نفسه: ٥٩.

(٧) ظ: التصوير الفني في خطب الإمام علي، د. عباس علي الفحام: ١٨٨.

(٨) محمد بحر العلوم رجل دين شيعي ولد في في مدينة النجف عام ١٩٢٧. ينتمي إلى اسرة دينية اجتماعية سياسية ساهمت في بناء الدولة العراقية منذ ١٩٢١ هو زعيم وسياسي إسلامي بارز في العراق. عالم وكاتب له أكثر من خمسين مؤلف في التأريخ والفقه والسياسة خريج جامعة النجف الدينية وكذلك حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة في الشريعة الإسلامية عام ١٩٧٩، ظ: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١٩٨/٣.

(٩) هو الشيخ محمد بن الحسن بن علي، يُكنى بأبي جعفر الطوسي، يرجع نسبه إلى طوس إحدى مدن خرسان، ولد سنة (٣٥٨هـ) في شهر رمضان المبارك، ومن ألقابه شيخ الطائفة كما لُقّب بالشيخ على الاطلاق، تعلم في مدينته ثم هاجر بعدها إلى بغداد؛ لكونها ملتقى رجال الدين والعلم، وحضر دروساً للشيخ المفيد مدة خمس سنوات، ألف فيها كتابه تهذيب الأحكام، كما شرح كتاب المقنعة لشيخه المفيد، وبعد وفاة الأخير(رحمه الله) لازم السيد المرتضى طوال ثلاث عشرة سنة، وفيها كتب تلخيص الشافي لخص فيه كتاب استاذه الشريف المرتضى، كما تصدّى للزعامة الدينية بعد وفاة علم الهدى(المرتضى)، وبقي في بغداد وعُرف عنه بأنّه عظيم المكانة، وجليل القدر، عارفًا بالأخبار والرجال، والأصول وغيرها، توفي سنة (٤٦٠هـ)، ودفن في بيته في النجف الأشرف، ظ: التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة الطوسي، ج/١: ٢٠-٢٤.

(١٠) ظ: كتاب رثاء القيم: ٥٢٠.

(١١) شرح ديوان المتنبي،ج/١، عبد الرحمن البرقوقي: ٤٢٣.

(١٢) ولد الشاعر مطر أمين مهدي عبد النبي محمد علي الشلاه في مدينة الحلة، نشأ في بيتٍ عُرف بالأدب والعلم، أخذ عن والده كما أخذ عن أمه، درس وتعلم على بعض المشايخ من علماء عصره، وحصل على إجازة منهم، كما اشتغل بالتدريس ونخرج على يديه خطباء وشعراء؛ إذ كان خطيبًا شاعرًا، يقوم بالوعظ، والإرشاد، والخطابة بين الناس وبحلّ مشاكلهم، وله مجموعة أشعار مخطوطة بحوزة حفيده معز عباس مطر، ظ: شعراء الحلة في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مهدي عبد الأمير مفتن الكطراني: ١٣١.

(١٣) ظ: شعراء الحلة في معجم البابطين: ١٣٢.ظ: كتاب رثاء القيم: ١٥٢.

(١٤) البناء الفني لشعر العرجي، سرى سليم عبد الشهيد المعمار(رسالة ماجستير): ١٨٧.

(١٥) ديوان كثير عزة: ١١٨.

(١٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج/٤٤: ٣٧٨.

(١٧) المصدر نفسه: ٣٧٨.

(١٨) وردت بمعنى المرض والوجع، ظ: العين، ج/٤: ٣٧٤.

(١٩) ظ: شعراء الحلة في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مهدي عبد الأمير مفتن الكطراني:١٣٢. ظ: كتاب رثاء القيم: ١٥٢.

(٢٠) ديوان دعبل الخزاعي: ٤٠.

(٢١) ظاهرة التضمين والاستشهاد الأدبي في تشكيل مقالة الرافعي(وحي القلم) أنموذجا، د. عبد الله حبيب كاظم، م. سامر وجيه فاضل: ٤٣.

(٢٢) كتاب رثاء القيم: ٥١٩-٥٢٠.

(٢٣) سموأل بن عادياء ولد في نهايات القرن الخامس وتوفي في عام ٥٦٠، وكان أحد الشعراء المعروفين ورجال الدين اليهود في الجاهلية، وقد اشتهر بالوفاء الكبير لحكايات كثيرة وكان من صفات العرب

النجيبة هي صفة الوفاء، فكان لها مكانة كبيرة في تراثهم، ولشدة وفائه أطلق العرب المثل الشهير (أوفى من السموأل)، ظ: السموأل: أخباره والشعر المنسوب إليه مختار سيدي: ١٠٤.

(٢٤) ديوان السموأل: ٣٦.

(٢٥) المصدر السابق: ١٥٤.

(٢٦) سقط الزند، لأبي علاء المعري: ٣٤.

(٢٧) ولد الشاعر اللبناني محمد علي فرحات في عنقون قضاء صيدا عام ١٩٤٥م، وهو أديب وصحافي، وشاعر مرموق، وعمل في الصحافة لا سيما جويدة السفير؛ إذ بقي فيها مدة اثني عشر عامًا، ومن أعماله كتاب الإقامة(نثر فني)، وباب العصر، سواها، ظ: موقع وي كبيديا ar.m.wikipedia.org

(٢٨) كتاب رثاء القيم: ٢٨٠.

(٢٩) ديوان المتنبي: ٣٧٥.

(٣٠) كتاب رثاء القيم: ٢٨٠.

(٣١) ديوان أبي القاسم الشابي: ٧٠.

(٣٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال: ٣٥٧.

(٣٣) كتاب رثاء القيم: ٥٢١.

(٣٤) عبد الحسين بن قاسم بن صالح الحلي النجفي، فقيه، وشاعر، وأديب، من شيوخ الأدب ومشاهير الفقهاء والعلماء، وأساطين الدين، نبغ في الحديث، والفقه، والرجال وغيرها، وكانت له مكتبته الخاصة تحتوي خطية نفيسة، تخرج على شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد محمد كاظم اليزيدي وغيرهم، توفي في البحرين سنة (١٣٧٥هـ)، ودفن فيها، ومن مؤلفاته: النقد النزيه لرسالة التنزيه، الشجرة الملعونة، ينابيع الأحكام، ظ: معجم الأدباء، كامل سلمان الجبوري، ج/٣: ٣٣٧.

(٣٥) ظ: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج/٦: ٥٥.

(٣٦) التناص نظريا وتطبيقا، د. أحمد الزعبي: ١٥٣.

(٣٧) لسان العرب، ابن منظور، مادة(مثل) ج/١٣: ٢٢.

(٣٨) الفتح: ٢٩.

(٣٩) ظ: المزهر، للسيوطي: ٤٨٦.

(٤٠) شرح الفصيح، لثعلب: ٢٩٧.

(٤١) كتاب رثاء القيم: ٢٨٠.

(٤٢) مجمع الأمثال العربية، خير الدين شمسي باشا، ج/١: ٧٨٧.

(٤٣) المصدر نفسه: ٧٨٧.

(٤٤) النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروة، ج/١: ٣٣٣.

(٤٥) ولد الشيخ جعفر ابن الشيخ عبد الحميد بن إبراهيم الهلالي في مدينة البصرة، فهو خطيب، وأديب، وشاعر، وتعلم على يد والده المتوفى(١٤٠٦هـ)، هاجر إلى النجف لإكمال دراسته على يد السيد محمد جواد العاملي، والشيخ حسين الفرطوسي وغيرهم، وحصل على شهادة (البكالوريوس) في العلوم الإسلامية والعربية، واستقر في الشام ونشرت له الصحف العربية والعراقية العديد من المقالات والشعر الرصين، ، ظ: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري: ٣٤.

(٤٦) الهوج هو الحمق، والأنثى هوجاء، ظ: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة(هوج)، ج/٤: ٣٢٩.

(٤٧) ظ: ديوان الشيخ جعفر الهلالي: ٥٢٣-٥٣٤. ظ: كتاب رثاء القيم: ٢٠٣.

(٤٨) ظ: الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي:٤٤٣.

(٤٩) ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ج/٨: ٣٥٥.

(٥٠) ظ: الأمثال في الحديث النبوي الشريف ،د. محمد جابر فياض العلواني: ٧.

قائمة المصادر والمراجع

١- الأمثال البغدادية المقارنة، عبد الرحمن التكريتي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٢- الأمثال في الحديث النبوي الشريف، جمع وتخريج ودراسة الدكتور محمد جابر فيّاض العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة المجلسي، محمد باقر محمد تقي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.

٤- البناء الفني لشعر العرجي، سرى سليم عبد الشهيد المعمار، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٢م.

٥- التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة ستارة- قم، ط١، ١٤٣١هـ.

٦- التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، د. عباس علي الفحام، مؤسسة الصادق الثقافية، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الأعلام- الجمهورية العراقية، ١٩٧٥م.

٧- التناص نظريا وتطبيقا، د. أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر، عمان- الأردن، ط٢، ٢٠٠٠م.

٨- ديوان أبي الطيب المتنبي، صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها الدكتور عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة، فهرسة، د. الشويحي.

٩- ديوان أبي القاسم الشابي، قدّم له وسرحه الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٠- ديوان أبي علاء المعري المشهور بسقط الزند، وقف على طبع الشاعر شاكر شقير الساني، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٤م.
١١- ديوان السموأل، صُنعة أبي عبد الله نفطوية، تحقيق وشرح د. واضح الصّمد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٢- ديوان الشيخ جعفر الهلالي، تحقق وجمع أ. د. خليل عبد السادة إبراهيم الهلال، دار الفرات للثقافة والإعلام، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م.
١٣- ديوان دعبل الخزاعي، شرحه حسن حمد ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٤- ديوان كثير عزة، قدم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٥- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
١٦- شعراء الحلة في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، جمع وتعليق مهدي عبد الأمير مفتن الكطراني، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، ٢٠١١م.
١٧- ظاهرة التضمين والاستشهاد الأدبي في تشكيل مقالة الرافعي(وحي القلم) انموذجا، أ. م. د. عبد الله حبيب كاظم، م. سامر وجيه فاضل، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج١٦، ع٣، ٢٠١٣م.
١٨- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٩- لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٠- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني، الناشر، المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، آذار سنة ١٣٢٢هـ.
٢١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه، وصححه، وعنون موضوعاته، وعلق حواشيه، محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٢- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣.
٢٣- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية الجاهلية نشأة وصدر الإسلام، حسين مروة، دار الفارابي، ط٢، ٢٠٠٨م.
٢٤- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.